المناضل محمد الشريف ساحلي وإسهاماته في كتابة التاريخ الوطني الجزائري

The fighter Mohamed Cherif Sahli and his contributions to writing Algerian national history

الدكتور عبد القادر خليفي*

أستاذ محاضر " أ "

قسم التاريخ جامعة المسيلة.

abdelkader.khelifi.@univ-msila.dz

تاريخ الاستلام: 2021/11/07 **تاريخ القبول: 2022/02/07** **تاريخ النشر: 2022/06/28**

ملخص: تهدف هذه الورقة العلمية المتواضعة، إلى الوقوف على بعض إسهامات المفكر والمناضل محمد الشريف ساحلي (1906م- 1989م)، الذي مثل أنموذجا لجيل النخبة الوطنية الجزائرية، التي تلقت تكوينا ثقافيا وعلميا في دواليب المدرسة الفرانكفونية، لكنه ظل وفيا لانتمائه وهويته نضالا سياسيا وإنتاجا فكريا، حيث أبان عن روح نضالية عالية في إطار نشاطه ضمن حزب الشعب/ الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية، ثم في معترك الثورة التحريرية 1954 – 1962م، حيث أسندت إليه مهام إعلامية ودبلوماسية، تتعلق بإيصال صوت الثورة إلى الرأي العام الفرنسي، وتمثيلها لدى بلدان منطقة شمال أوربا، وهي المهام التي أدارها بكفاءة واقتدار، وقد واصل بعد الاستقلال خدمة البلاد على مدار عقود في حقل العمل الدبلوماسي، حيث ترك بصماته جلية في هذا الباب، كما قدم مساهمة متميزة في إثراء المكتبة الوطنية بأعمال في غاية الأهمية، جاءت في ظرفية حرجة من مسيرتنا التاريخية فسدت فراغا كبيرا في حينها، من حيث طبيعة القضايا المعالجة، ومنهجية الطرح، فكان بحق، وهو صاحب فكرة الثورة الكوبرنيقية لزحزحة المسلمات الكولونيالية في ميدان التأريخ للجزائر، الصوت القوي الذي رافع في وقت مبكر بعد دحر المستعمر، لصالح تحرير التاريخ بعد استعادة الجغرافيا.

الكلمات المفتاحية: التاريخ – الجزائر – الهوية – الذاكرة – محمد الشريف ساحلي – الحقبة الاستعمارية - المدرسة الكولونيالية – الوطنية.

* المؤلف المرسل: عبد القادر خليفي ، الإيميل: abdelkader.khelifi.@univ-msila.dz

Abstract:

This modest scientific paper aims to examine some of the contributions of the thinker and militant Mohamed Cherif Sahli (1906-1989), who represented a model for the generation of the Algerian national elite, which received a cultural and scientific formation in the wheels of the Francophone school, but remained true to his affiliation and identity as a political struggle and intellectual production, He showed a high spirit of struggle within the framework of his activities within the People's Party / Movement for the victory of democratic freedoms, and then in the arena of the liberation revolution 1954-1962 , when he was assigned media and diplomatic tasks related to communicating the voice of the revolution to French public opinion and representing it in the countries of the North Europe, which are the tasks that he managed efficiently and competently, and after independence he continued to serve the country for decades in the field of diplomatic work, as he left his mark clearly in this regard, and also made a distinguished contribution to enriching the National Library with very important works that came at a critical juncture in our journey. Historicism spoiled a great void at the time, in terms of the nature of the issues addressed, and the methodology of the presentation, so he was right, and he was the owner of the idea of the Copernican revolution to displace colonial universals in the field of history in Algeria, the strong voice that Early AR after defeating the colonizer, in favor of liberating history after the restoration of geography.

Key words: history - Algeria - identity - memory - Mohamed Cherif Sahli - the colonial era - the colonial school - patriotism.

مقدمة:

تشكل التجربة الفكرية والنضالية للنخبوي محمد الشريف ساحلي، حلقة مضيئة في مسيرة النخب الوطنية الجزائرية، التي صارعت على مستويات عدة زمن الكولونيالية وأبلت بلاء حسنا على عهد الدولة الوطنية المستقلة واستطاعت وسط ظروف غير عادية، أن تقدم مساهمات مهمة خدمة

لقضايا شعبها، عكست بحق الفكرة الايجابية عن موقع المثقف المحصن ضد فيروسات الانسلاخ وجسدت دوره في مجال الدفاع عن الرصيد الحضاري للجزائريين

وهو في مساره الحافل بالعطاء، ظل وفيا للقيم التي يحملها، ولم يجذبه صراع العصب على السلطة، ولم تمتد يده إلى فساد، بل كرس حياته الشخصية والنضالية لحمل هموم الوطن الذي لم يحتضنه كما يجب، فغادر في صمت، كما رحل الكثير من عظماء هذا البلد.

تعالج إشكالية هذه الورقة، أطروحات ساحلي في مواجهة التاريخ الوافد، حيث تمحورت التساؤلات حول تحديد ملامح شخصيته الإنسانية والنضالية والفكرية، مع محاولة التعرف على طبيعة كتاباته ووجهتها، فكيف فهم التاريخ؟ وكيف وظفه للرد على أساطين المدرسة الكولونيالية؟ ثم كيف استطاع حصر المشكلة التاريخية؟ وما هي أصداء كتاباته؟

1. ساحلي الإنسان والمناضل:

محمد الشريف ساحلي (1906-1989م)، أصيل قرية آث أوغليس، إحدى قرى بلدية سوق أوفلا التابعة لدائرة شميني بولاية بجاية، تابع دراسته الابتدائية بسيدي عيش، ثم انتقل إلى بوزريعة بالعاصمة، لمزاولة تعليمه في المرحلة المتوسطة، ليلتحق بعدها بثانوية بوجو Bugeaud بالعاصمة (Djamel Sahli, 2014, p19.) ، وقد عكست البطاقة التحليلية لمساره الدراسي تفوقه إلى جانب الفلسفة، في مواد الفرنسية والتاريخ والجغرافيا، غير أن هذا التفوق لم يشفع له بعد أن حصل على البكالوريا، في أن ينال منحة دراسية، شأنه في ذلك شأن أقرانه ممن لا حظوة لديهم لدى سلطات الاحتلال، فهو ابن عائلة بسيطة رفضت أن تنسلخ عن جلدتها، وترتمي في أحضان المعسكر الاستعماري. (محمد عباس 2004، ص ص 90-91.)

سافر إلى فرنسا رغم الصعوبات المادية التي أحاطت به، حيث اضطر إلى بيع حصته من الأرض بغرض توفير متطلبات استكمال دراسته الجامعية، حيث اختار تخصص الدراسات الفلسفية، ليتوج بالحصول على شهادة الليسانس في عام 1932م، من جامعة السوربون العريقة بباريس، وبالرغم من هذا التكوين الفلسفي، إلا أن توجهه كان تاريخيا، فقد كانت حصة الإنتاج الفكري الفلسفي ضئيلة اللهم إذا استثنينا المحاولة التي أعدها عام 1949م حول نظرية المعرفة في فلسفة إيميل بوترو Emile Boutroux، وهو عمل غير منشور. (Djamel Sahli, 2014, p19.)

انخرط في سلك التعليم على فترات متذبذبة خلال الفترة 1933-1957 م، حيث درس الفلسفة في ثانويات فرنسية مختلفة على غرار كوليج شينون بمدينة بواتيي Poitiers، وثانوية ديكارت بمدينة تور Tours، وكوليج كولبار Colbert بباريس، وغداة اندلاع الحرب العالمية الثانية، وتنفيذا لمرسوم حكومي من توقيع إدوارد دلاداييه Edouard Daladier صدر في سبتمبر 1939م، تم شطبه من تصنيف الإطارات، فعاد إلى الجزائر، وفي صيف السنة الموالية استطاع أن يحصل على منصب معلم في مدرسة

توجة ببجاية وبعد أن خاض صراعا إجرائيا طويلا مع الحكومة الفرنسية، تمكن في النهاية من الاندماج مجددا في سلك التعليم. (Djamel Sahli, 2014, p19.)

احتك بالأوساط الطلابية منذ منتصف الثلاثينيات، إلى أن صار خلال الفترة 1935-1937م رئيسا لجمعية الطلبة المسلمين الجزائريين بفرنسا، وتمكن من تحقيق الإتحاد العملي مع جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا AEMAN ، وانخرط في حزب الشعب غداة تأسيسه سنة 1937م. (Achour Cheurfi, 2001, p312.)

على صعيد نشاطه الصحفي، فقد دخل معترك الكتابة في الجرائد كمتعاون مع صحيفة "الأمة " لسان حال نجم شمال إفريقيا، ثم صار ضمن هيئتها التحريرية، ولم يلبث أن اكتسب خبرة في هذا الميدان، وهكذا نراه يخلق في عام 1938م "مجلة إفريقيا" (Achour Cheurfi, 2001, p312.) ، والتي على قصر عمرها إذ سرعان ما تعرضت للمنع نظرا لخطها الوطني، إلا أنها قد لقيت أصداء طيبة في أوساط الوطنيين، ولاسيما لدى جموع الطلبة، ولم يكن ذلك الإجراء ليحد من نشاطه، حيث نراه يلجأ في غمرة تطورات الحرب العالمية الثانية، واجتياح فرنسا من قبل ألمانيا، إلى إصدار نشرية سرية، كانت تحمل أفكارا مناوئة للنازية[1] ولنظام بيتان العميل، تحت تسمية " الحياة " El Hayat. (Djamel Sahli, 2014, p20.)

ويبدو أن الرجل كان منفتحا على مختلف اتجاهات الصحف، فمنذ نهاية الأربعينيات، تعاون مع عدة عناوين إعلامية، ومن ذلك، نشاطه ضمن جريدة "الإصلاح"، و"النجم الجزائري" وجريدة "الشاب المسلم"[2] ،هذه الأخيرة التي حرر بها العديد من المقالات المتنوعة، كما نشر على أعمدتها مختارات من كتابه "عبد القادر فارس الإيمان"[3]، وانتقد في عددها رقم 12 رواية مولود معمري "الربوة المنسية"[4] وقد اشترك في هذا الجدال الفكري المناضل مصطفى الأشرف(1917م – 2007م) . (أحمد طالب الإبراهيمي، 2006، ص ص 71-72.)

لقد سمحت له تلك التجربة، بأن يصبح بين سنتي 1955-1956م، قلما متميزا، له حضوره اللافت في العديد من الجرائد الوطنية، على اختلاف مشاربها واتجاهاتها، حيث أطلق العنان لقلمه بصحيفتي الثورة "المقاومة الجزائرية" و"المجاهد" موقعا مقالاته باسم مستعار هو "ابن تومرت"[5] (Achour Cheurfi, 2001, pp 312-313.) كما تعاون مع صحيفة "الجزائر أولا" l'Algérie d'Abord، التي كان يديرها عمار أوزقان بالعاصمة، ولم يتوقف عند هذا الحد، بل نشر مقالات بمجلات فرنسية، منها المقال المعنون بـ "الجزائر ليست فرنسا" الذي ظهر على أعمدة مجلة "الأزمنة المعاصرة" les Temps Modernes التي كان يشرف عليها الفيلسوف جون بول سارتر Jean Paul Sartre والتي احتوت أيضا على مقال آخر له بالاشتراك مع جون كوهين Jean Cohen، حمل عنوان: "استعمار وعنصرية في الجزائر"، وكان ذلك في شهر ماي 1955م،(Djamel Sahli, 2014, p21.) كما ربط تعاونا مع جريدة

"الطالب" l'Etudiant، حيث حرر بها دراسة في نهاية عام 1957م بعنوان: "المسألة الجزائرية أمام الهيئة الأممية". (Djamel Sahli, 2014, p22.)

وفي شهر جانفي 1957م، أضحى عضوا بارزا في لجنة الصحافة والإعلام التابعة لفدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا، فكان من مهامها الاتصال مع الرأي العام الفرنسي، وفي هذا الصدد، قام ساحلي بإعداد الرسالة التي وجهتها الجبهة إلى الاشتراكيين الفرنسيين.(Ahmed Taleb Ibrahimi,2014, p65.) كما أسهمت هذه اللجنة في القيام بنشاط تحسيسي وتعبوي، بغرض ضمان تجنيد الجزائريين المهاجرين، للانخراط في إضراب الثمانية أيام الشهير، الذي دعت إليه لجنة التنسيق والتنفيذ وجرت وقائعه خلال الفترة الممتدة بين 28 جانفي إلى 04 فيفري 1957م. (Djamel Sahli, 2014, p22.)

كلفته قيادة الثورة بتمثيل الجزائر والتعريف بالكفاح الوطني لدى البلدان الاسكندنافية، مع الاستقرار بالسويد، ثم خاض تجربة العمل الدبلوماسي بعد الاستقلال، حيث قضى الفترة 1965-1971م سفيرا لدى جمهورية الصين الشعبية، ثم استقر به المقام بجمهورية تشيكسلوفاكيا، بين أعوام 1971-1978م. (Ahmed Taleb Ibrahimi, 2014, p66.) وقد قضى العقد الأخير من حياته بعيدا عن الأضواء، بعد أن أحيل على التقاعد، وأحاط به المرض، حتى رحل في صمت.

لقد راكم الرجل الكثير من الاحترام والتقدير، وحاز تنويها وإعجابا بشخصيته، وتقر له الشهادات بسعة الأفق الفكري، وتعترف له بأهمية الانتاجات التاريخية التي تركها، وقد استطاع بحكم المسؤوليات التي تولاها، أن يكتسب مهارة دبلوماسية، وأن يقيم علاقات بأوساط متعددة تجاوزت حدود الجغرافيا الوطنية، لتنسج شبكة تمتد من أسيا، حيث كانت للرجل مراسلات مع نوردوم سيهانوك Norodom Sihanouk زعيم كمبوديا، إلى جنوب إفريقيا حيث ربط علاقات قوية جدا مع الزعيم الرمز المناضل ضد الأبارتيد نيلسون مانديلا Nelson Mandela، الذي وخلال زيارته للجزائر عام 1990م، ألح في السؤال عنه وطلب مقابلته، (الطيب آيت حمودة، 2018، موقع.) ويشهد له كل الذين اشتغلوا إلى جانبه أو احتكوا به، بأنه كان رجل دولة بامتياز وملئ الجزائر أحسن تمثيل، بما جعله نموذجا جديرا بالاقتداء. (Ahmed Taleb Ibrahimi, 2014, p66.)

. ساحلي بعيون المثقفين المعاصرين:

في الواقع، لقد كانت مفاجأتي كبيرة حينما شرعت في إعداد هذه الورقة، ذلك أن عمليات المسح والرصد التي قمت بها بحثا عن الكتابات والقراءات التي أفردت لإسهامات الرجل، كانت نتائجها باهتة ولا تكاد تذكر، قياسا إلى طبيعة الدور النضالي الذي قام به وأيضا إلى نوعية المساهمة الفكرية التي قدمها، وأن ما تيسر لي الحصول عليه،لم يتعد عددا من الانطباعات التي أدلى بها زملاؤه في النضال ولم يتجاوز بعض الإشارات العابرة، التي ذكرت أعماله بشكل مقتضب جدا في سياق

معالجاتها الأكاديمية لقضايا المرحلة السياسية والثقافية، ومن ثمة، اكتفيت بإيراد ما جمعته على قلته، آملا أن تسعفني عمليات البحث والتقصي المتواصلة في اكتشاف المزيد من مكنوناته.

يروي أحمد طالب الإبراهيمي(1932م – حي 2019م)، في شهادته، بأنه قد تعرف لأول مرة على ساحلي إلى جانب كل من مالك بن نبي، ومصطفى الأشرف غداة تأسيس جريدة " الشاب المسلم" عام 1952م، وأشار إلى الأدوار التي لعبها في مسألة الاتصال بالرأي العام الفرنسي ولاسيما التيار الاشتراكي وبعد أن أثنى على كتاباته التاريخية اعتبره واحدا من مؤرخي الوطنية الجزائرية. (Ahmed Taleb Ibrahimi, 2014, p65.)

ووصفه المناضل والكاتب زهير إحدادن (1929م – 2018م) بالقول:" وبفضل ثقافته الواسعة ونضاله السياسي، اكتشف التحريفات الكثيرة التي ألحقت بتاريخ الجزائر، خصوصا في كشف المؤرخين الفرنسيين المنتمين إلى الإيديولوجية الاستعمارية، التي كانت تحاول أن تنفي أو تخفي وجود الأمة الجزائرية، فأخذ الشريف ساحلي يكشف هذا التزوير وأعطى عناية كبيرة لإبراز الشخصيات الجزائرية الكبرى على وجهها الحقيقي، وهكذا يصدر رسالة يوغرطة، حيث يبرز عظمة هذا الملك الأمازيغي (أبوعمران الشيخ وآخرون، 1995 275.)، ورأى بأن المنتوج التاريخي المعروض بأقلام فرنسية، يمثل الجانب الاحتلالي الأكثر فضاعة من استعمار البلاد ماديا، وخلص إلى أن الاستقلال لا يكتمل إلا بتحرير التاريخ الوطني. (Zohir Ihaddaden, 2014, p28.)

ومن جهته، دعا المؤرخ والمناضل الكبير مولود قاسم نايت بلقاسم (1927م – 1992م) في استذكار خص به الراحل نشر على أعمدة جريدة " المجاهد " بعد مرور سنة على رحيله، إلى ضرورة مطالعة إنتاجه الأخير الهام، الذي صدر حينما كان الرجل يصارع المرض، ويتعلق الأمر بكتابه الموسوم:" الأمير عبد القادر أساطير فرنسية وحقائق جزائرية " لغرض فهم وإدراك إنكاره اللاذع للأطروحات الاستعمارية، التي لا تزال تطارد وتشوه صورة الأمير عبد القادر، على غرار ما قامت به ضد كل الشخصيات الوطنية العظيمة ونحو تاريخنا بأكمله، في ماضيه وحاضره واتجاهه المستقبلي. (Abdelatif Sifaoui, 2014, Site.)

بينما حملت شهادة المفكر مالك بن نبي(1905م – 1973م)، بمناسبة عرضه للأوساط الثقافية والسياسية والفكرية التي احتك بها في باريس عام 1932م، ما يعطي الانطباع بأن محمد الشريف ساحلي، لم يكن على خط مزاجي واحد، فقد تقلب بين الانطواء والانفتاح وفي هذا المعنى يذكر : " وكان هناك في الأخير صنف من الطلبة يرون أنفسهم بغير انتماء فساحلي لم يتخل بعد عن قبائليته فكانت لغته ونفسيته تعزلانه عن الوسط "، (مالك بن نبي 2007، ص 25.) بينما أشار في موضع آخر، مصورا التحولات التي أخذت تطبع المشهد والعلاقات بين العديد من رجالات الثقافة بالقول: " في حين أصبح ساحلي أكثر ابتساما وهو يتجرد من النزعة القبائلية ". (مالك بن نبي، 2007، ص 34.)

أما المؤرخ محمد حربي (1933م – حي 2019م)، فيذكر في شهادته، بأن التعارف بينهما قد حصل عام 1952م بواسطة المناضل عبد المالك بن حبيلس، وكان من الأمور التي جلبت انتباهه في شخصية محدثه، هي انشغاله باستعمال معرفة الماضي كوسيلة لإضفاء الشرعية على الوطنية، مما كان له تأثير ملموس على ذهنية حربي الذي ذهب إلى الإقرار بأن تلك المقاربة قد استهوته، ووجدت سبيلا إلى ذهنه، مما قاده إلى اكتشاف المركزية التاريخية بمعيته، لينتهي إلى أن تلك القناعة التي لازمته وقتا طويلا، قد اتضح لاحقا بأنها مسألة قابلة للمراجعة وقد وصف ساحلي بالمناضل الوطني المستقل، وبأنه كان متقشفا يدخر أمواله الشخصية وأموال جبهة التحرير الوطني على حساب علاقاته العامة في بعض الأحيان وأشار من جانب آخر، إلى أنه لم يكن يشاطر الآراء والتحذيرات التي تلقاها من الإطارات القيادية في الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية، التي كانت تتوجس من الأفكار السياسية التي كان يحملها ساحلي، حيث رأى البعض من هؤلاء، أن إصداره "مجلة إفريقيا"، وتحريره " رسالة يوغرطة "،[6] تمثل أعمالا يشتم منها رائحة معاداة العروبة والترويج للأطروحة البربرية. (محمد حربي، 2004، ص 199.)

وخلص حربي، إلى التأكيد بأن ساحلي كان حداثيا، ومفتتنا بالحضارة الأوربية، وهي المسألة التي تقاسمها معه حيث كتب يقول: " كنا نخوض مناقشات تاريخية سياسية معمقة حول تفسيرات تاريخنا، وحول طبيعة المجتمع الجزائري، لم تكن التقاليد بالنسبة إلينا سوى مخلفات ينبغي مسحها بالسرعة الممكنة، كان النموذج الأوربي يفتننا وكنا نعتقد بسذاجة أن تاريخنا هو تاريخ أوربا ". (محمد حربي، 2004، ص 183.)

3. ساحلي والكتابة التاريخية.

1.3. مؤلفاته: طبيعتها وصداها.

لقد كان لافتا خلال عقدي الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي، بروز جيل من الباحثين المهتمين بحقل التاريخ الوطني، حملوا على عاتقهم مهمة اقتحام معركة التصدي لمشروع تزييف التاريخ الذي تبنته المدرسة الاستعمارية، ووفرت له كافة الإمكانات، ومن بين هؤلاء كان ساحلي، (Hassan Remaoun, 2006, p155) الذي تعد كتاباته التي بدأت في الظهور مع نهاية الأربعينيات، تحولا مهما في نوعية الكتابة التاريخية، ففي " رسالة يوغرطة " التي أصدرها عام 1947م، تحدث عن العبقرية الإفريقية التي يمثلها هذا البطل، والتي اعتبرت أساس الروح المغاربية المتعطشة للحرية، ويذهب في هذا الإطار مصطفى الأشرف، إلى التأكيد بأن محتوى هذا العمل، يدخل في صنف الكتابات المتعلقة بالوطنية التي رأت النور في مرحلة ما قبل الثورة، وقد جاءت في وقتها داعية إلى وحدة الصفوف داخل التنظيمات الحزبية الجزائرية المناهضة للاستعمار، وكانت مشحونة بتلميحات قوية إلى فكرة العمل المسلح بوصفه خيارا مفضلا على لعبة الشرعية، فكان الدرس المستفاد من

عرض قصة البطل، يمثل وسيلة لاستنهاض الهمم، والعبور إلى شيء آخر ، وقد ضمنها ساحلي حديثه عن سرطان الامبريالية في قرطاج، والتذكير بمقاومة الغزاة، وهكذا يصبح استحضار تجربة يوغرطة، بمثابة دفعة موجهة وإسقاطا لما سيحدث في المستقبل. (Zineb Ali BenAli, 2004, pp207-208.)

ويمكننا أن ندرج هنا، مساهمة الشيخ أحمد توفيق المدني[7](1899م – 1983م)، التي تتقاطع مع روح أطروحة ساحلي في الإشادة بماضي المنطقة، ومحاولة نفض الغبار عن العطاءات والصفحات المشرقة في التاريخ المحلي لبلدان المغرب وفي هذا الرواق، تأتي رواية " حنبعل " التي أصدرها عام 1948م، لتقدم مقاربة تاريخية لدور هذه الشخصية في صنع التحولات، وتحديد مصير سكان بلاد المغرب مستقبلا، وقد استشهد مؤلف العمل أي المدني بالكثير من المقولات التي عرضها على لسان هذا القائد الرمز، من قبيل: " نحن قوم نعيش أحرارا أو نموت شرفاء، وإن طغيان روما سيمضي وسيمضي من بعده كل طغيان آخر، ولا حياة إلا للأمم الشاعرة بوجودها." (عبد القادر خليفي، 2014، ص ص 209-210.)

إن ما نود أن نربط به في هذا الاستشهاد، أن اشتراك الرجلين في الإشادة بخصال قيادات محلية مغاربية (يوغرطة وحنبعل)،وهما على مسافة فكرية وثقافية ومسار نضالي مختلف قبل مرحلة الثورة، فضلا عن انحدارهما من أصول اجتماعية متمايزة، إنما يصب في خانة تحييد فكرة البربرية عن ساحلي، التي رأت بعض الأصوات أنه كان يحملها عبر تخصيصه دراسة عن يوغرطة، ولكن غاب عن تلك الأصوات، أو تعمدت ذلك، حينما تغاضت عن الدراسة الرصينة التي أفردها للأمير عبد القادر والتي جاهد خلالها لتقديم صورة مضيئة عن هذا البطل الوطني صاحب الحضور العالمي.

وفي مؤلفه " الجزائر تتهم "[8]، الذي نشر عام 1949م، ذهب ساحلي، إلى أن سياسة السلب والنهب الاستعمارية لم تتوقف، حيث وجه نداء من أجل المحافظة على ما بقي من إرث، بل دعا إلى استعادة الأراضي المفقودة بفعل الحركة الواسعة للاستيطان الأوربي، وفي مضامين عمله الآخر ، الذي حمل عنوان " المؤامرة في وجه الشعوب الإفريقية "،[9] الصادر سنة 1950م، رفض التمييز بين السياسات الاستعمارية، لأنها في تصوره تسير في خط متصل قائم على الإبادة العنصرية، (أحمد شرف الدين، 1998، ص 129.) وفي تقدير أحد الباحثين، فإن ساحلي كان أول مناضل وطني جزائري يطرق موضوع الوحدة الإفريقية حيث شجب بقوة خطة لويس ميليو Louis Milliot ،المعدة عام 1941م لتحويل العمالة الجزائرية إلى النيجر وفسح المجال للعمالة الأوربية لتحل محلها بالجزائر، كما ندد بضم الجزائر إلى حلف شمال الأطلسي الذي تشكل عام 1949م،ودعا إلى الوحدة الوطنية، ووحدة شمال إفريقيا، وإلى تنشيط التعاون الإفريقي ومع جميع القوى العالمية المعادية للامبريالية. (Guy Pervillé, 2007, Site)

تواصل انتاج الرجل، ففي عام 1953م، أصدر "الأمير عبد القادر فارس الإيمان "،[10] الذي تناول حياة مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة، حيث حاول المؤلف أن يقدمه للقارئ الجزائري، الذي يفتقر حسب

طرحه إلى الكتابات العميقة، التي عالجت حياة هذه الشخصية المحورية في المقاومة الوطنية ويذهب المؤرخ أبي القاسم سعد الله (1930م – 2013م)، إلى أن ساحلي لم يحاول في هذا العمل أن يقدم ترجمة وافية للأمير ، على الرغم من أنه بسط مسيرته في مختلف أوجهها وظلالها، لكنه أشاد به ورأى بأن الكتاب، قد جاء في وقت تحتاج فيه البلاد لمعرفة بطلها المغوار، (أبو القاسم سعد الله، 2007، ص 71.) ووصفه المؤلف نفسه عمله هذا، في مقدمة الطبعة الثانية، بأنه يعد في الأساس كتاب مقاومة، طرح في سياق النضال الطويل للشعب الجزائري من أجل استقلاله الوطني. (Zineb Ali Ben Ali, 2004, p210)

شهدت الساحة الفكرية الجزائرية إبان السنوات الأولى للاستقلال، طرح مولوده الفكري الذائع الصيت، " تحرير التاريخ من الاستعمار "[11]، الذي صدر عام 1965 م، وقد قدمه بنفسه قائلا: " إن في هذا الكتاب فضحا وتحليلا للطرق والتصورات والأساطير الباطلة المستعملة في التاريخ الاستعماري الذي تقرر أن يكتب لبلدان المغرب عامة والجزائر على وجه الخصوص"، (أحمد مريوش، 2013، ص 96.) وقد لقي إقبالا لافتا، حيث تلقفته الدوائر المثقفة الفرنسية وأفردته بتحاليل بعيد أشهر من صدوره، فقد اعتبر أحد الباحثين أن محمد الشريف ساحلي وعبر كتابه هذا، قد أحدث ما يشبه ثورة كوبرنيقية[12]، حين دعا إلى وضع نهاية للحالة الميزاجية التي تضع أوربا في قلب العالم، وتعتبر الفرد الأوربي وقيمه مقياسا للرجل الآخر وقيمه، (R.G, 1966, p7) ورأى باحث آخر، أن " تحرير التاريخ "، يعد مرجعا رئيسا مشيرا إلى أن مؤلفه، قد عرض انتقادا قاسيا وطرح شجبا للأساليب الكولونيالية الموظفة في الحقل التاريخي، مطالبا بكتابة تاريخية تعتمد بالأساس على التاريخ الشفوي، الذي يبقى في تقديره، المصدر الحي والموضوعي لتأريخ المقاومة الوطنية الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي. (Chloé Maurel, 2013, p11)

ختم مشواره التأليفي، بدراسة نفيسة صدرت عام 1988م، حملت عنوان: " الأمير عبد القادر أساطير فرنسية وحقائق جزائرية "[13]، والذي عمل فيه على تصحيح الصورة السلبية التي ألصقت بالأمير، وقد رأى البعض أن دراسة الجنرال بول آزان Paul Azan[14] الصادرة عام 1925م، يمكن أن تلخص ذلك، فهي تعد الأفضل من بين ما انتجه الجانب الفرنسي، وتبدو أحكامها المتحاملة جلية في العنوان الفرعي: من التعصب الإسلامي إلى الوطنية الفرنسية[15] وقد حشد ساحلي لذلك كما هائلا من الوثائق، وتطرق إلى مجمل القضايا الخلافية بين المؤرخين من الضفتين كاشفا مؤامرة التضليل الاستعمارية، كما عرض من خلاله معطيات هامة، تتعلق بحياة الأمير الشخصية ونشاطاته بعد انتقاله إلى بلاد الشام. (François Pouillon, 2012, p3)

يرى أحد الكتاب، في تحليل افرده لخصائص انتاجات ساحلي، إلى أن استكناه كتاباته الفكرية والثقافية والتاريخية تبرز بلا جدال براعته وباعه الطويل في بعث الفكر الوطني المحلي، ذلك

أن إنتاجه يطفح بالتمرد، وتوجيه الصرخات لاستنهاض الأمة من غفوتها ووضعها أمام أساليب المستعمرين، القائمة على تقزيم وجودها، بجعلها كتلة بشرية منقادة لا قائدة، ولا تمتلك من المؤهلات ما يجعلها أمة متمايزة عن غيرها، فجرى تقديمها في قالب لا تستطيع أن تظهر إلا وهي مرتدية لباس غيرها. (الطيب آيت حمودة، 2018، موقع.)

2.3. ساحلي والمدرسة التاريخية الغربية: أطروحات ومواقف.

يرى البعض، أن المؤرخين الوطنيين في منطقة المغرب العربي، قد تحملوا غداة الاستقلال واجب تملك تاريخ بلدانهم، واسترجاعه من حظيرة المستعمر، حيث كانت المرحلة مرحلة تصفية التاريخ من الاستعمار كما طرح ساحلي والذي لم يكن الوحيد، فعلى غراره انبرى عبد الله العروي (1933م – حي 2019م) بالمغرب الأقصى لكتابة تاريخ المغرب منتقدا الموروث التاريخي الاستعماري، ومبشرا بعهد جديد من التأليف، يقوم أساسا على الغربلة، ومحاولة التخلص من الحضور الإيديولوجي الذي عجت به انتاجات المؤرخين الغربيين. (أحمد عبيد، 2010، ص 58.)

ففي إطار المواجهة بين فكرتي المغرب البربري والمغرب العربي، وعلاقة ذلك بالطرح الاستعماري القائم على التفرقة والاستيعاب، كانت التساؤلات ما انفكت تطرح وخصوصا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، حيث كان على التاريخ الوطني المغاربي أن يتساءل في شأن الاستمرارية بين المغرب الذي سبق الإسلام، والمغرب الذي تلاه، وكرد فعل على دعاة إفريقيا اللاتينية، بادر الطلبة المسلمون إلى التأكيد على انتسابهم إلى الأجداد النوميديين وحتى القرطاجيين وتحمسوا لذكر مناقب شخصيات مثل حنبعل وبالخصوص يوغرطا، باعتبارهم رموزا للمقاومة المغاربية ضد المستعمرين، فجاءت مؤلفات محمد الشريف ساحلي، وجان عمروش تصب في هذا الباب. (غي برفيليي، 2007، ص 545.)

لا شك أن ساحلي، قد حمل عن مادة التاريخ ذات الانطباع الذي تحدث عنه الصادق هجرس (1928م – حي 2019م) عندما كتب يصف تعاطيه مع ما يلقن حول ماضيه: " كنت أزهو بالكيفية التي انتهجت لتدريسنا مادة التاريخ، ولا شك في أن أدمغتنا الصبيانية كانت تتميز بقسط كبير من المرونة، بحيث نتمكن من حفظ ذلك القدر من الترهات، ونحن نكتم تعجبنا منها، إن أولى تلك الترهات هي العبارة المشهورة أجدادنا هم الغاليون. (غي برفيليي، 2007، ص 468.)

لم نكن لنعيش ذلك كله من غير أن ينتابنا شعور بالدوار: فنحن نعلم يقينا بأن أجدادنا ليسوا هؤلاء، ولكن من هم يا ترى؟ وأين كانوا في ذلك الوقت؟ وماذا كانوا يفعلون؟ لاسيما وأن بلادنا لم تكن صحراء خالية، لماذا تظل الكتب صامتة إزاء مثل هذه الاستفسارات؟ هل كل ما كان يروى لنا عن ماضينا بطريقة شفهية مجرد خرافات لا معنى لها؟ هل كانت تلك الروايات من قبيل حكايات الغول التي تقصها علينا جداتنا؟ هل عاش آباؤنا هنا ثم ذهبوا مثل القطيع من غير أن يخلفوا آثارا؟ (غي برفيليي، 2007، ص 469.)

يقول غي برفيليي Guy Pervillé (1948م – حي 2019م)، تعليقا على المنتوج التاريخي الذي كانت تعرضه فرنسا في مقرراتها المدرسية، بأنه كان يمثل عقدة تمركز الأنا العرقي، والافتخار الوطني المبالغ فيه، ويخلص تأسيسا على ذلك لتوصيف عملية التوظيف التاريخي في تلك المرحلة كالآتي: " ظل محتوى التاريخ الوطني في جميع البلدان والى عهد قريب، عبارة عن تراتيل مقتبسة من الديانة المدنية ففي الدول الامبريالية يكون التاريخ امبرياليا، ولا يرد فيه ذكر الشعوب المحتلة إلا بمناسبة الحديث عن احتلالها". (غي برفيليي، 2007، ص 471.)

تحدث ساحلي عن الطرح الذي تبناه المؤرخون الفرنسيون المتعلق بـ " أسطورة الإدماج " ،حيث كتب:" بعد افتراضهم الشخصية السلبية للجزائر وقصورها الفطري عن الوحدة السياسية والاستقلال، لم يرد مؤرخونا أن يروا في ردود الأفعال الشعبية ضد التدخلات الأجنبية، غير حمى فوضى تملكت الشعب الجزائري قبل التدخل الفرنسي الذي عجلت به ولما رفضوا الإقرار بما كان يميز ردود الأفعال هذه، من حصول وعي فعلي لدى أصحابه بالروح الوطنية، لجأوا في تفسير مقاومتهم الطويلة والمستميتة ضد الاحتلال إلى أفكار بالية، فنعتوهم بكونهم شعوبا تهوى الحروب للوصول إلى خلاصة مفادها: كانت الجزائر سنة 1830م أرضا شاغرة، وشعبا مستعدا لتقبل عملية إدماج زعم أنها كانت ذات أهداف سامية تتماشى والعبقرية الفرنسية، لقد كانت أسطورة الاندماج من الانتشار في فرنسا وعلى مستوى الرأي العام العالمي، ما يجعلنا نتساءل عما إذا كان هؤلاء المؤرخون أنفسهم ضحايا لها وليس أصحابها ". (محمد الشريف ساحلي، 2002، ص 75.)

من المواقف القوية التي صدح بها، ما عرضه بشأن الاندماجيين، فبلهجة أكثر حدة، أصدر حكمه الصريح في هذه الفئة فقال:" رجال لا إيمان لهم ولا حرمة، وضعوا أنفسهم في خدمة المحتل إنهم عملاء من النوع المبتذل ومزورون، وأنهم يجنون من وراء تلك العمالة فوائد جمة، ولكي تتمكن تلك البرجوازية الجديدة من تطوير امتيازاتها الطبقية، فإنها طالبت بالمساواة في الحقوق عن طريق الاندماج، وهي راغبة في أن تصبح فرنسية للحصول على مكانة في مائدة الأسياد ". (حميد عبد القادر، 2007، ص ص 40-41.)

لقد وصف المتبجحين بفكرة الاندماج، بأنهم أصحاب ضمائر مضطربة، تحاول التلويح بهذه الأسطورة لنفي تهمة الاستعمار، مضيفا بأن أنصارها، سعوا ولا يزالون لإقناعنا بأنه بالفعل كانت هناك سياسة في هذا الباب، وإنما فقط لم يحالفها الحظ، ويختم تحليله للأمر بالقول: " ويبقى علينا الآن أن نبحث في هذه الفكرة العظيمة عبر التاريخ، سواء من حيث الأفعال أو التصريحات، أو حتى من حيث النوايا الخفية، إن نظرة خاطفة واحدة إلى الماضي تكفينا لندرك أن ما قامت به فرنسا منذ أن وطأت أقدامها الأرض الجزائرية، لم يكن إلا حالة استعمار تقليدية لكنها حالة أكثر تعقدا ". (محمد الشريف ساحلي، 2002، ص ص76-77.)

يرد ساحلي على الكثير من الأصوات، ومنها ما جاء به شارل أندري جوليان، (Charles André Julien 1891م – 1991م)، التي عزت عدم نجاح سياسة الإدماج إلى فشل الإصلاحات الفرنسية، بسبب تعنت المعمرين، الذين وصفوا بالمحافظين بيولوجيا، متجاهلين وجود حركة وطنية تحظى بالتأييد، مما يجعلها تعبر عن واقع مختلف تماما وعلى مسار تاريخي لم يعه الحالمون، ومحبو الأساطير الجميلة، وهي الحقيقة التي لم تزعزع اعتقاد جوليان، الذي ظل ينظر إلى المسألة باعتبارها مشكلة مستجدة ومصطنعة، تقف وراءها عوامل اقتصادية علاوة على إستراتيجية القمع البوليسية. (محمد الشريف ساحلي، 2002 ص 76.)

يرى ساحلي بأن الكثير من المؤرخين الفرنسيين، قد غرقوا في تيار الاختلاق والتزييف للحقائق والمسلمات التاريخية وفي هذا الصدد كتب:" إذا كانت الطبيعة كما يقال تكره الفراغ، فإن هناك أيضا من المؤرخين من يكره الصفحات البيضاء، لذلك تجدهم يزخرفون ويخترعون، ولا يتوانون حتى في استعمال المفارقات التاريخية، فينظرون إلى الماضي بمنظار الحاضر ". (محمد الشريف ساحلي، 2002، ص 45.)

انتقد الرجل أطروحات ستيفان غزال Stéphane Gsell (1864م – 1932م)، المتعلقة بخصائص المجتمع البربري التي قدم فيها خلاصة خارج أي تأريخ، حاول من خلالها تأكيد صورة البربري الأبدية موضحا بأن رؤيته لم تكن مبنية على دراسة تاريخية موضوعية خضعت للمنهج المعروف في حقل الكتابة التاريخية، وإنما كانت قراءة خيالية، أسقطت واقع البربر الحاضر على كل مراحل تاريخهم السابقة، دون مراعاة مختلف التغيرات والانقلابات السياسية، والحراك الاجتماعي، والاقتصادي والاثني، والنتيجة من وراء هذه المغالطة، هي إقحام التاريخ في طريق خاطئ وخطير كل الخطورة. (محمد الشريف ساحلي، 2002، ص 45.)

ويساند هذا الرأي، ما ذهب إليه فرحات عباس (1899م – 1985م)، عندما كتب: " لقد كان للمؤرخين الغربيين نزعة مؤسفة نحو تمجيد الاحتلال الروماني، كأنما يريدون بذلك تبرير أعمال الاستعمار الأوربي الحديث " وفي ذات الرواق انبرى مصطفى الأشرف متصديا للمناورات الاستعمارية، محاولا توخي العلمية والموضوعية في عرض أفكاره حيث كتب يقول: " ومهما يكن من أمر، فإننا لم نكذب على التاريخ، ولم نشوه الظواهر الاجتماعية، كل ما في الأمر أننا حرصنا على دحض الحجج الباطلة، وكشف الحقائق الناصعة، وإعادة الحق إلى نصابه من الداخل بعدما رأينا المؤرخين الفرنسيين يشوهونه من الخارج، أو يتنكرون له تماما ...". (مصطفى الأشرف، 1983، ص 5.)

وفي رده على الأطروحات التي تبناها العديد من المؤرخين الفرنسيين، على غرار إيميل غوتيه Emile Félix Gautier وشارل أندري جوليان، والمتعلقة بتجريم الهجرة الهلالية التي حصلت في القرن الحادي عشر الميلادي وجعلها محور كل خراب وتراجع حضاري بالمنطقة، اعتبرها مجرد أساطير انتشرت في الأوساط الأوربية، وغذت موجة العداء ضد العرب والثقافة العربية، وانتهى في تحاليله، إلى أن فكرة

الحتمية العرقية والحتمية الاجتماعية اللتان عرضتا بكيفية محرفة ومقصودة، لتحقيق مقولة شخصية الجزائر السلبية، ذلك أن القائلين بها بحسب رأيه، لا يكتفون بجعل الجزائر وعاء للإمبراطوريات الأجنبية منذ الأزل، وإنما يحاولون كذلك انطلاقا من تبريرات تاريخية واجتماعية إثبات صحة نظرية الرسالة الحضارية أو المهمة التمدينية، التي كانت شعار الحركة الاستعمارية التي انطلقت عام 1830م. (محمد الشريف ساحلي، 2002، ص 63.)

وفي تعليقه على النقد الذي وجهه ساحلي إلى المؤرخين الغربيين، ذكر: " لقد شكك البروفيسور الشريف ساحلي، في كتيب له بعنوان تخليص التاريخ من الاستعمار، في نزاهة المؤرخين الغربيين وهذا أمر محتمل، بل حقيقي، فقد شكل المثقفون في الغرب أدوات مساعدة في الغالب للسلطة والمؤرخ يكتب للملك كما قال قوتييه ولكن عليه والمقصود هنا الساحلي، أن لا يبالغ في التعميم حتى لا يسقط في الخطأ المعاكس ". (فرحات عباس 2010، ص 43.)

يذهب ساحلي، إلى أن الطرح القائم على فكرة مركزية أوربا في العالم، وهي المسألة التي اعتاد رجالات العلم منذ أربعة قرون الترويج لها، بحيث قادهم ذلك، إلى اعتبار قيمها كما لو كانت المحدد الرئيس للبشرية، ومن ثمة، أضحت عمليات المقارنة بالحضارات الأخرى، تتم انطلاقا من القيم الغربية عنها، مما جعل دعاتها يرون أنفسهم أوصياء على غيرهم مؤمنين بالتفاوت الفطري بين الشعوب وفكرة السمو هذه، هي المدخل إلى الاستعمار.

إن التمركز الأوربي حول الذات، يظهر في شكل تعصب في زمن ما انفكت العلاقات والمؤسسات الدولية تشهد تطورا متزايدا، وأفق الإنسان تتوسع توسعا منقطع النظير، بدخول العديد من الشعوب والحضارات المنسية فيما مضى- بفعل الاستعمار- الساحة الدولية.

"وحتى يمكن الخروج من هذا المأزق، تجب ثورة كوبرنيكية جديدة، يتم بمقتضاها مراجعة أدوات التحليل الفكري، حتى يكون هذا الأخير أكثر اتساعا وثراء، ينبغي تجديد المسلمات والأفكار، والمفاهيم والتعاريف، والنظريات والقيم، وحتى يتسنى التعبير وبنفس التعاطف عن البشرية قاطبة، وعن تنوعها واختلافها، هذا، ولابد أن تمر مثل هذه المراجعة وعلى وجه الخصوص عبر تحرير التاريخ، وعلم الاجتماع من الاستعمار". (محمد الشريف ساحلي، 2002، ص 105.)

يخلص ساحلي، إلى أن بعض مؤرخي الجزائر واعين بهشاشة أطروحاتهم وتراكيبهم الفكرية، فقد وجدوا عذرا لذلك في إلقاء حبل اللوم على موضوع دراستهم، ويستدل على ذلك، بحالة تعاطي المؤرخين شارل أندري جوليان وجان لاسوس jean Lassus (1903م – 1990م)، مع تاريخ المنطقة المغاربية، فالأول يقول: لقد خان المغرب المؤرخين مثلما فعل مع الغزاة، فيرد عليه بعبارة لكن ماذا سيقوله هذا "الخائن" لو تسنى له الكلام؟، بينما طرح المؤرخ الثاني عتابه على الشعوب الصامتة " إن المؤرخين لمضطرون إلى استعمال الوثائق التي تركت لهم،فإن بقيت الشعوب صامتة، فقد يبقى التاريخ بدوره

صامتا"، ويرجح ساحلي، أن يكون القرطاجيون والنوميديون هم المستهدفين بهذا الادعاء الذي اعتبره غير لائق، ذلك أن هؤلاء المؤرخين والمهتمين بعلم الآثار ، لم يعمقوا بحوثهم في هذا الاتجاه، بل أن جان لاسوس نفسه، اعتبر أن البحث الأثري بشمال إفريقيا لازال في بداياته، ذلك أن جل التركيز ظل منصبا على تتبع المخلفات الرومانية التي يرى الفرنسيون أنفسهم بأنهم ورثتها ومن ثمة، كان التراث النوميدي والقرطاجي ضحية لهذا التوجه، لاسيما وأن إظهاره كان يستلزم إزاحة الآثار الرومانية، لكونه يتموقع أسفلها. (محمد الشريف ساحلي، 2002، ص 107.)

إن التاريخ لا يعيد نفسه، وإنما يتقدم لأن هناك نوعا من الاستمرار في التطلعات الأساسية للبشر، (محمد الشريف ساحلي 2002،ص112.) وتساءل ساحلي، ما الحل أمام معضلة تشويه التاريخ الوطني من قبل الفرنسيين، فهل نطلب منهم أن يضعوا لنا تاريخا مقبولا للجزائر؟، متوقعا منهم الانكفاء عن هذا الدور، ومن ثمة، فقد قال: "ينبغي على الجزائريين البحث في ماضيهم لاسترجاع تراثهم، وعددا من القيم التي تبقى شخصيتهم من دونها ناقصة، وذلك من أجل دفعة قوة لعملية بناء المستقبل، فالتاريخ بالنسبة إليهم ولغيرهم من الشعوب الفتية، سوف يكون كما قال هنري مارو Henri Marrou (1904م – 1977م) المعرفة التي تسمح للإنسان بتحمل مسؤولية مصيره وعيناه مفتوحتان، ووعيه كامل ". (محمد الشريف ساحلي، 2002، ص 110.)

الخاتمة: في ختام هذا الاستعراض المتواضع لمسيرة ساحلي في حقل النضال السياسي الوطني، وفي ميدان المنافحة الفكرية عن الهوية والشخصية الجزائرية، تستوقفنا تلك البصمات القوية التي تركها الرجل وراءه، وهي تعكس بحق طبيعة الإمكانات التي حازها وتجسد المستوى الرفيع الذي أبان عنه في طرحه للقضايا التي تناولها، وقد جاءت كتاباته على الخصوص، تحمل تجديدا واضحا في أسلوب ومنهجية المعالجة.

لقد أعطى محمد الشريف ساحلي للثقافة التاريخية الوطنية ما كانت بحاجة إليه وغاص في موضوعات تكتسي أهمية بالغة، وعلى الرغم من أن مسار التكوين الذي خضع له، كان فرنسيا لغة وبناء معرفيا وثقافيا، فإن ذلك، لم يجعله يسلم بما تلقاه من أفكار ، ولم تتمكن اللغة الفرنسية التي كان يحرر بها أعماله من أن تجذبه خارج رواق انتسابه، حيث جاءت تآليفه تطفح كلها بالهوية والاعتزاز بالانتماء، وتدفع إلى ترسيخ قيم الأصالة والعراقة.

ولعل من القضايا التي نرى وجوب التنبيه إليها في آخر هذه الوقفة، ما تعلق بدعوة الجهات المختصة إلى إيلاء أهمية أكثر لكتابات الرجل، وإلى ترجمتها إلى اللغة العربية، حتى يتسنى لشرائح واسعة من المثقفين والمهتمين والطلاب الاطلاع على أفكاره وأطروحاته، والاستفادة من مضامينها.

هوامش البحث.

[1] - في الواقع، فإن موقف ساحلي من النازية، وقضية اتصالاته بالألمان أثناء فترة السيطرة الهتلرية على باريس، ما تزال نقطة تلفها الضبابية، ذلك أن المعطيات الشحيحة التي حصلنا عليها لا تسمح بتقدير الموقف، وفهم حقيقة ما حدث، فالإشارة التي ساقها البعض، تذكر على أن الألمان هم من بادروا لطلب مقابلته عبر وسيط تجاري من جنسية تونسية، بغرض إيجاد قناة لتحريك الأوضاع في شمال إفريقيا، ومن ثمة قلب الطاولة على الفرنسيين في منطقة نفوذهم تلك الاتصالات العابرة، هي التي ربما كانت وراء ذلك الاعتقاد، غير أن الحقيقة التي باتت قائمة، هي أن محمد الشريف ساحلي، قد رفض التعاون مع قوات الاحتلال الألماني، بالرغم من تكرار محاولات الاتصال به. ينظر: محمد عباس، مثقفون في ركاب الثورة، المرجع السابق، ص ص 95-96.

- ومن الشهادات التي تحدثت عن وجود اتصالات بينه وبين الألمان، ما أورده حربي في مذكراته، حينما كتب: " وكان أصدقاؤه الشيوعيون ومنهم أحمد إينال يأخذون عليه دعوته للتحالف مع النازية، وقد أكد لي هذه المسألة المناضل محمد عبدون، عضو قيادة حزب الشعب ". ينظر: محمد حربي، حياة تحد وصمود مذكرات سياسية 1945-1962م، ترجمة عبد العزيز بوباكير علي قسايسية، دار القصبة للنشر، 2004م ، ص 199.

[2] - جريدة الشاب المسلم Le Jeune Musulman، نصف شهرية باللسان الفرنسي، مقربة من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، أنشاها أحمد طالب الإبراهيمي، وأسند تسييرها الإداري إلى صديقه عطاء الله سوفاري الذي كان ضمن فريق البصائر، صدر عددها الأول في 06 جوان 1952م، استمرت في النشاط لمدة عامين، تعاون معها عدد من رجالات النخبة على غرار محمد الشريف ساحلي، ومالك بن نبي، ومصطفى الأشرف، وعلي مراد، وعبد العزيز خالدي.

ينظر: أحمد طالب الإبراهيمي، مذكرات جزائري: الجزء الأول: أحلام ومحن 1932-1965م، دار القصبة للنشر، الجزائر 2006، ص ص 70-71.

[3] - العنوان بلغته الأصلية: L'Emir Abd-el-Kader, Chevalier de la foi صدر عام 1953م .

[4] - عنوان الرواية باللغة الفرنسية: La colline oubliée، صدرت عن دار النشر، Editions Plon بباريس، عام 1952م وقد وجه ساحلي لمؤلفها مولود معمري انتقادات قوية، متسائلا كيف يمكن تبرير تلك الدعاية التي حظيت بها الرواية من لدن الصحافة الفرنسية ومن قبل المعمرين، ورأى بأن جمالها من الناحية الشكلية والفنية، لا يعطي لها مبررا، حيث أن الظروف التاريخية التي طرحت فيها، غير ملائمة لهذا النوع من الأعمال، فالوقت ليس وقتا للفن، بل لعرض وحث الناس على الانخراط في النضالات من أجل التحرر. للمزيد حول صدى هذه الرواية، وموقف كل من ساحلي ومصطفى الأشرف من محتواها. ينظر:

- Abderrezak Dourari, " Discours épistimique, fiction et jugement nationaliste : M.Lacheraf à propos de La Colline Oubliée de M. Mammeri", Insaniyat, N° 47-48, CRASC, université d'Oran, 2010.

[5] - Achour Cheurfi, la classe politique algérienne de 1900 à nos jours, dictionnaire biographique, casbah Editions, Alger, 2001, pp 312-313.

- ومن الجدير بالتنويه أن اختيار ساحلي " ابن تومرت " اسما مستعارا له لم يكن جديدا ولا وحيدا فقد سبقه إليه شاعر الثورة المناضل الصلب مفدي زكرياء.

[6] - العنوان بلغته الأصلية: Le Message de Yougourtha ، عن دار النشر En-Nahdha بالجزائر، وأعيد طبعه عام 1968م بواسطة L'algérien en Europe، يحتوي على 107 صفحات.، وقد أهدى هذا العمل إلى الشيخ البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين آنذاك.

- وصف آيت أحمد الكتاب بأنه كان هجائيا عرف نجاحا كبيرا، وأن عنوانه كان يحمل رسالة واضحة وشفافة، فهل كان يلمح إلى أنه يتضمن تمجيدا للبعد الامازيغي في سياق حديثه عن الأزمة البربرية، مشيرا إلى أن محمد الشريف ساحلي، قد جرى تدجينه بعد الاستقلال، وإبعاده عن الجزائر، حينما عين سفيرا في الصين، وهناك تعلم كيف يسكت. ينظر: حسين آيت أحمد، روح الاستقلال مذكرات مكافح 1942-1952م، ترجمة سعيد جعفر، منشورات البرزخ د.م، 2002م، ص 130.

[7] - يعد أحمد توفيق المدني، من الأقلام الوطنية البارزة التي عاصرت محمد الشريف ساحلي، وإن اختلف تكوين الرجلين الثقافي، وتمايزت لغة الكتابة لديهما لكنهما تقاطعا في مسألة الاهتمام بإحياء ماضي الأمة، والدفاع عن الهوية، والتصدي لأباطيل المؤرخين الفرنسيين، فالمدني، كان له فضل وضع أسس المدرسة التاريخية الجزائرية، إلى جانب الشيخ مبارك الميلي، وهذا منذ منتصف عشرينيات القرن الماضي، فقد أسهم في هذا المضمار ، بتقديم دراسات متنوعة باللغة العربية، مست التاريخ الوطني والمغاربي، وتصدت للآطروحات الاستعمارية، تتمثل أهم تلك الانتاجات في المؤلفات الآتية: قرطاجنة في أربعة عصور 1927م، كتاب الجزائر 1932م، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1937م، المسلمون في صقلية وجنوب إيطاليا 1946م، جغرافية القطر الجزائري 1948م، مسرحية حنبعل 1950م، هذه هي الجزائر 1957م، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1968م، للمزيد حول حياته ومساهماته، ينظر:

- عبد القادر خليفي، أحمد توفيق المدني: النضال السياسي والإسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية 1899 – 1983م دار المحابر للنشر والتوزيع، الجزائر 2013م.

[8] - العنوان بلغته الأصلية: L'Algérie accuse : le Calvaire du Peuple algérien، صدر عن دار النشر En-Nahdha

[9] - العنوان بلغته الأصلية: Le Complot contre les peuples africains ، الصادر عن دار النشر

[10] - العنوان بلغته الأصلية: Abdelkader, chevalier de la foi، صدر عن دار النشر En-Nahdha ، بالجزائر، وأعيد طبعه عام 1967م،بواسطة .L'algérien En Europe

[11] - العنوان بلغته الأصلية: Décoloniser l'histoire، صدر عن دار النشر François Maspero، احتوى على 148 صفحة.

[12] - الثورة الكوبرنيقية مأخوذة من اسم العالم الفلكي البولندي نيكولاس كوبرنيكوس(1473م – 1543م) الذي قلب المفاهيم والمعتقدات الفلكية التي طرحتها نظرية بطليموس، التي كانت تقول بمركزية الأرض في المجموعة الشمسية، وتبنتها الكنيسة لمدة 12قرنا، حيث أكد عكس ذلك،متحدثا عن مركزية الشمس وكون الأرض جرما يدور في فلكها ضمن كتابه " في ثورات الأجواء السماوية "، ومن ثمة يعتبر مؤسس علم الفلك الحديث.

[13] - العنوان بلغته الأصلية: L'Emir Abdelkader : Mythes français et réalités algériennes، صدر عن المؤسسة الجزائرية للصحافة EAP، تضمن 141 صفحة.

[14] - بول آزان Paul Azan (1874 – 1951م)، جنرال ومؤرخ فرنسي، أشرف على إدارة مصلحة الأرشيف العسكري بين سنوات 1928 – 1933م، ترأس l'Académie des sciences coloniales عام 1945م، نال الجائزة الكبرى للامبراطورية الفرنسية عن مجموع أعماله،

[15] - عنوان الكتاب باللغة الفرنسية: L'Emir Abdelkader 1808 – 1883, Du fanatisme musulman au patriotisme français صدر عن دار النشر Hachette تضمن 310 صفحات.

قائمة المصادر والمراجع

1) فرحات عباس. (2010) تشريح حرب، ترجمة أحمد منور، طبعة خاصة. الجزائر. ElMusk Editions.
2) مصطفى الأشرف.(1983).الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى. د.ط. الجزائر. المؤسسة الوطنية للكتاب.
3) Les ancêtres fondateurs : Elaborations symboliques du champ "Zineb Ali – BenAli. (2004). intellectuel algérien 1945 – 1954" revue Insaniyat. N° 25 – 26..
4) R.G, « Décoloniser l'histoire de C.Sahli »,in le Monde diplomatique, Aout 1966
5) عبد القادر خليفي. (2014). الكتابات التاريخية وبعث الوطنية الجزائرية في ظل الحقبة الكولونيالية: دراسة نماذج من إسهامات أحمد توفيق المدني خلال الفترة 1931-1950م، مجلة دراسات وأبحاث، العدد 16. ص ص 192-211.
6) أحمد عبيد. (2010). التأريخ الجزائري: تقييم ونقد حالة الجزائر العثمانية ، مجلة إنسانيات، العدد 47-48. ص ص 57-75.
7) Chloé Maurel. (2013). l'Ecriture de l'Histoire dans les Pays en Développement. Revue Tiers Monde. N° 216. Pp 2013,p11.In www.cairn.info/revue-tiers monde-2013-4-page-7.htm
8) محمد الشريف ساحلي. (2002). تخليص التاريخ من الاستعمار، ترجمة محمد هناد ومحمد الشريف بن دالي حسين، د.ط. الجزائر. منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال.
9) غي برفيليي.(2007). النخبة الجزائرية الفرانكفونية 1880-1962م،ترجمة مسعود حاج مسعود وآخرون. د.ط. الجزائر. دار القصبة للنشر.
10) حميد عبد القادر. (2007). فرحات عباس رجل الجمهورية. د.ط. الجزائر. دار المعرفة.
11) أحمد مريوش. (2013).دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، ج1، ط1. الجزائر. مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع.
12) أبو القاسم سعد الله. (2007). تاريخ الجزائر الثقافي، ج10، طبعة خاصة. الجزائر. دار البصائر.
13) أحمد شرف الدين. (1998). "محمد الشريف ساحلي فيلسوف ومؤرخ"، ضمن كتاب: المدرسة التاريخية الجزائرية، ط2. الجزائر. اتحاد المؤرخين الجزائريين.
14) Hassan Remaoun, Sami Bargawi. (2006). Savoirs historiques au Maghreb, construction et usages. Oran. CRASC.
15) حسين آيت أحمد. (2002). روح الاستقلال مذكرات مكافح 1942-1952م، ترجمة سعيد جعفر. د.ط. د.م منشورات البرزخ.
16) مالك بن نبي. (2007). العفن مذكرات الجزء الأول 1932-1940، ترجمة نور الدين خندودي، ط1. الجزائر. شركة دار الأمة للطباعة والنشر.

(17) أبو عمران الشيخ وآخرون. (1995). معجم مشاهير المغاربة. د.ط. الجزائر. جامعة الجزائر.

(18) Achour Cheurfi. (2001). la classe politique algérienne de 1900 à nos jours, dictionnaire biographique. Alger. casbah Editions.

(19) محمد حربي. (2004). حياة تحد وصمود مذكرات سياسية 1945-1962م. ترجمة عبد العزيز بوباكير وعلي قسايسية. د.ط. الجزائر. دار القصبة للنشر.

(20) محمد عباس. (2004). مثقفون في ركاب الثورة (في كواليس التاريخ 2). د.ط. الجزائر. دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع.

(21) أحمد طالب الإبراهيمي. (2006). مذكرات جزائري: الجزء الأول: أحلام ومحن 1932-1965م. د.ط. الجزائر. دار القصبة للنشر.

(22) Djamel Sahli.(2014). Mohamed Cherif Sahli : Itinéraire et parcours . in Mohamed Cherif Sahli (Colloque). Béjaia. Edition Société Savante GEHIMAB.

(23) Ahmed Taleb Ibrahimi.(2014). Mohamed Cherif Sahli : Un exemple pour la jeunesse. in Mohamed Cherif Sahli(Colloque). Béjaia. Edition Société Savante GEHIMAB.

(24) الطيب آيت حمودة.(2018). محند الشريف ساحلي وحرب الذاكرة في الجزائر. الحوار المتمدن، العدد 5767 . موقع: https // www. Ahewar.org /debat/show.art.asp ?aid=586931.

(25) Zohir Ihaddaden.(2014). Hommage à Cherif Sahli. in Mohamed Cherif Sahli (Colloque). Béjaia Edition Société Savante GEHIMAB.

(26) Abdelatif Sifaoui.(2014). Mohamed Cherif Sahli ; le Talent au service d'un noble idéal. Site : https // www.lejeunemusulman.net/?p=1613.

(27) Chloé Maurel.(2013). l'Ecriture de l'Histoire dans les Pays en Développement. Revue Tiers Monde. N° 216. In Site : https/ www.cairn.info/revue-tiers monde-2013-4-page-7.htm.